

الوحدات السورية المساعدة في الجيش الروماني بمقاطعتي البروقنصلية ونوميديا خلال العهد الامبراطوري الأعلى

Syrian Auxiliary Units in the Roman Army in the Provinces of Proconsular Africa and Numidia during the Early Imperial Period

مصطفى توريرت^{*1}

1 مخبر الدراسات التاريخية والحضارية للأوراس والصحراء الشرقية عبر العصور، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، mo.taourirt@univ-biskra.dz

تاريخ القبول: 2025/10/21

تاريخ الإرسال: 2025/09/18

ملخص:

كشفت لنا النقوش اللاتينية عن تنوع إثني كبير في الجيش الروماني بمقاطعات بلاد المغرب القديم، حيث جُند أبناء المقاطعات الرومانية في وحدات مساعدة، وأرسلوا إلى أماكن روعي في اختيارها انسجام تخصص الوحدات مع طبيعة المنطقة، وقد مثلت الفرق المساعدة السورية إحدى أبرز هذه الأمثلة في مقاطعتي البروقنصلية ونوميديا. ومن هذا المنطلق، نتساءل عن أسماء هذه الكتائب والفصائل السورية التي التحقت بالمقاطعتين خلال العهد الامبراطوري الأعلى، وذلك بالاعتماد على عديد النقوش التي تمكن من تتبع تاريخ تشكيل هذه الفرق، وزمن استقدامها، فضلا عن أهم أعمالها بالمقاطعات الإفريقية، ولا سيما في الميدان العسكري. لقد شكّلت هذه الفرق السورية عنصرا أساسيا في الاستراتيجية الدفاعية الرومانية، بفضل تخصصها في رماية النبال واستعمال الخيالة والهجانة في مواجهة القبائل البدوية وشبه البدوية، كما ساهمت هذه الوحدات في تأمين الحدود والطرق والمعابر الصحراوية، وشكلت جزءا مهما من منظومة الليمس النوميدي والطرابلسي.

كلمات مفتاحية: وحدات عسكرية؛ سوريا؛ جيش روماني؛ بروقنصلية ونوميديا؛ نقوش.

Abstract

Latin inscriptions have revealed a significant ethnic diversity within the Roman army across the provinces of Ancient North Africa (Africa Proconsularis and Numidia), Soldiers recruited from different Roman territories were enlisted into auxiliary units, and deployed into a carefully selected locations according to the specialization of each unit and characteristics of each region. the Syrian auxiliaries represented one of the most prominent examples in the provinces of north Africa. This paper analysis numerous inscriptions to trace the formation history of these Syrian unit and the chronology of their deployment, as well as their principal operations within the African provinces.

These Syrian constituted a key element in the Roman defensive strategy, thanks to their proficiency in archery, cavalry, and camel-mounted troops in confronting nomadic and semi-nomadic tribes, Furthermore, these units contributed to securing frontier zones, and Sahara trad passages, forming an integral part of the Numidian and Tripolitan limes system.

Keywords: Military units; Syria; Roman army; Africa Proconsularis and Numidia; Inscriptions.

* المؤلف المرسل.

1- مقدمة

عرف الجيش الروماني خلال العصور القديمة تطورات عديدة من حيث التنظيم، وشروط الانضمام، وتقسيم الرتب والدرجات العسكرية، إضافة إلى إدماج الفرق الإثنية ضمن صفوفه، ارتبطت هذه التحولات بالظروف السياسية والعسكرية التي عاشتها روما، وبحاجتها إلى توسيع نفوذها الجغرافي وحماية مقاطعاتها المنتشرة في القارات الثلاث، كما تأثرت هذه التغيرات بشخصيات بعض حكام وأباطرة روما.

فخلال العهد الملكي، كان الالتحاق بالجيش الروماني مقتصرًا على المواطنين الرومان فقط، ويتم على أساس طبقي وفق الثروة التي يمتلكها الفرد وقدرته على تجهيز نفسه للحرب. وقد اعتمد الجيش آنذاك أسلوبًا قتاليًا يُعرف باسم الهوبليت (Hoplite) (Harkness, 1887, pp. 26-27)، وهو نظام إغريقي أدخله الأتروسكيون إلى روما، حيث نقلوا منه أسلوب القتال وطرق التسليح التي كان يعتمد عليها جنود الهوبليت.

أما خلال العهد الجمهوري، فقد شهد الجيش تطورًا كبيرًا على مستوى البنية والتنظيم والتركيبية، حتى إن العديد من الباحثين يقسمون هذه المرحلة إلى فترات متميزة تبعًا للإصلاحات العسكرية التي عرفها الجيش. وابتداءً من القرن الرابع قبل الميلاد، بدأ الرومان في التخلي عن النظام القتالي السابق، واعتمدوا سلسلة من الإصلاحات شملت التنظيم والتسليح، مما جعل الوحدات العسكرية أكثر انتظامًا وانضباطًا، فيما عُرف بتشكيلة المانيبل (Manipular)، حيث جرى تنظيم الجنود في ثلاث صفوف رئيسية وفق معايير السن والخبرة القتالية (عطير، 2022، صفحة 232).

أمام التوسعات التي شهدتها روما الجمهورية خارج شبه الجزيرة الإيطالية، أصبحت الحاجة ملحة إلى إنشاء جيش دائم ومتمرس بهدف حماية المقاطعات الجديدة وضمان ولاء شعوبها. وفي هذا السياق، قام مجلس الشيوخ في سنة 214 ق.م بتخفيض الحد الأدنى للنصاب المطلوب للتجنيد إلى 4000 أس، مع تمديد فترة الخدمة العسكرية لمدد أطول. ورغم أن هذا الإجراء ساهم في زيادة عدد الجنود، إلا أنه لم يكن كافيًا، خصوصًا بعد الخسائر البشرية الفادحة التي تكبدها الجيش الروماني أمام قرطاجة في معركة ترازيمين (217 ق.م) وكاناي (216 ق.م).

وفي أواخر العهد الجمهوري، ظهرت إصلاحات جديدة هدفها تعزيز القوة العسكرية، خاصة بعد فشل مشروع الإصلاح الذي تقدم به الأخوان غراكوس سنة 123 ق.م، وقبل سنوات قليلة من ذلك، أقر مجلس الشيوخ تخفيضًا إضافيًا في نصاب الملكية ليصل إلى 2500 أس، مع تقديم دعم حكومي للعاجزين عن تسليح أنفسهم بغية رفع عدد المجندين. إلا أن كثرة الحروب جعلت هذه الإصلاحات غير كافية، لا سيما مع اندلاع الحرب الجرمانية والسلتية سنة 113 ق.م، ثم حرب يوغرطة سنة 112 ق.م.

الوحدات السورية المساعدة في الجيش الروماني بمقاطعتي البروقنصلية ونوميديا خلال العهد الامبراطوري الأعلى

في هذه الظروف، انتُخب غايوس ماريوس قنصلاً، فأطلق إصلاحات جذرية، أبرزها فتح باب التجنيد أمام جميع فئات المجتمع الروماني القادرة على حمل السلاح، بغض النظر عن نصيبها من الثروة، مع منحهم امتيازات مهمة مثل الحصول على أراضي بعد إنهاء الخدمة العسكرية. كما خضع المجندون للفحص الطبي وأدوا قسم الولاء، فضلاً عن تقديم القرابين والندب بالنفس لخدمة روما والقيادة العسكرية (عيساوي، 2020-2021، صفحة 34). إضافة إلى ذلك، حرص ماريوس على تزويد الجيش بكامل العتاد الحربي اللازم، كما قام بإعادة تنظيم الجيش عبر تقسيمه إلى كتائب (Cohors) بدلاً من النظام القديم القائم على المانيبيلات (Manipuli)، إلى جانب إنشاء الوحدات المساعدة Auxillia لتعزيز القوة القتالية للجيش.

لقد أحدثت الإصلاحات التي أقَرها ماريوس تحولاً جذرياً في بنية الجيش الروماني وطريقة تنظيمه، مما مهّد الطريق لتأسيس جيش محترف اكتملت ملامحه على يد القادة الذين خلفوه (Lendelle, 2008, p. 18). وفي عهد الإمبراطور أغسطس، شهد الجيش تغييرات جوهرية على جميع المستويات مقارنة بالفترتين الملكية والجمهورية؛ حيث أرسى أسساً أكثر تنظيماً واحترافية وقوة في تاريخ المؤسسة العسكرية، وهو ما أدى إلى ظهور جيش نظامي دائم إلى جانب جيش مساعد يضم مقاتلين من الحلفاء والعناصر العسكرية التي لم تكن تتمتع بالمواطنة الرومانية، وكذلك من أبناء المقاطعات الرومانية. (Goodman, 1997, pp. 112-114; Bennett, 2001, pp. 251-252)

وقد خضع هؤلاء المقاتلون لنظام عسكري جديد يُعرف بـ الوحدات المساعدة، مع منحهم حق الحصول على المواطنة الرومانية بعد استكمال مدة الخدمة العسكرية المقدرة بـ 25 سنة. كما تم تقسيم هذه الوحدات وفقاً لاحتياجات الجيش وتخصصاته القتالية، فظهرت فرق متنوعة مثل وحدات الرماة (Sagittarii)، ووحدات الجمالة أو الهجانة (Dromedarii)، إضافة إلى كتائب المشاة، والفرسان، والوحدات المختلطة. ونظراً لأن معظم هذه الوحدات العسكرية جُنّدت من سكان المقاطعات الرومانية، فقد حملت غالباً تسميات محلية إمّا نسبةً إلى القبائل التي جُنّد أفرادها منها، أو إلى المناطق الجغرافية التي نشأت فيها. وبذلك اعتمدت روما في تجنيد هذه الوحدات على مختلف أقاليمها ومقاطعاتها مثل بلاد الرافدين، سوريا، بلاد الغال، إسبانيا، جرمانيا، نوميديا، وموريطانيا، وذلك لضمان توفير خدمات عسكرية في فترات السلم والحرب.

كما ساهم هذا النظام في إفراغ القبائل من الأفراد الذين يشكلون خطراً على روما، فضلاً على أن هؤلاء المجندين اعتبروا كرهائن لدى السلطة الرومانية في كثير من الحالات، مما جعل القبائل خاضعة لروما من جهة، وغير قادرة على المقاومة من جهة أخرى. وإلى جانب ذلك، مثّل هذا النظام أداة فعّالة في عملية الرومنة من خلال الامتيازات التي كان ينالها المجند بعد إتمام خدمته العسكرية. وكانت الاستراتيجية الرومانية تقوم على إرسال تلك الوحدات إلى مناطق بعيدة

عن مواطنها الأصلية وتوظيف خبراتها العسكرية ضد الأعداء الذين تكون أساليب الفرق الحربية غير مألوفة لديهم من ناحية (Benseddik, 1982, p. 93)، ومن ناحية أخرى بهدف تقويض الشعور الوطني لدى هذه الفرق (Cagnat, 1913, p. 307)، والهدف من هذه العملية هو إضفاء الطابع الإقليمي على الجيش الروماني، والتي تمت صياغته في نهاية القرن الأول، وتسريعها في القرون اللاحقة عن طريق ظاهرة أخرى، وهي دمج أبناء الفرق المساعدة – ويعرفون بأبناء المعسكر ex-castris- في الجيش الروماني، وشجعها على ذلك القيود المفروضة في منح المواطنة الرومانية، ابتداء من سنة 140م (Cheesman, 1914, p. 70)، ازدادت نسبة هؤلاء الجنود في القرن الثاني لتصبح المصدر الأكثر أهمية في التوظيف.

ومن هذا المنطلق زودت روما جيشها بشمال إفريقيا بعدة وحدات عسكرية سورية كشفت عنها النقوش اللاتينية، حيث ساهمت هذه الوحدات بفضل تخصصها العسكري سواء كرماة سهام وراكبي خيالة وجمالة في مراقبة تحركات القبائل المحلية المعادية للمصالح الرومانية، خاصة وأنها استقرت بالتخوم الصحراوية كمنطقة القنطرة ومسعد بمقاطعة نوميديا، والقطاع الأوراسي بصفة عامة. فهذا الاختيار المكاني لم يكن اعتباطيا وإنما لأن الفرق السورية اعتادت على الحرارة والمناطق الجافة ونظرا لخبرتها في ركوب الخيالة والجمال، وبالتالي في هذه الورقة البحثية سنحاول التعريف بكل الفرق العسكرية التي خدمت ببلاد المغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأعلى، ومن هنا نطرح الإشكالية التالية: ما هي أهم الوحدات العسكرية السورية التي استقدمت إلى مقاطعتي البروقنصلية ونوميديا خلال العهد الإمبراطوري الأعلى، ومن هذا المنطلق سأقوم بتتبع النقوش اللاتينية التي خلدت هذه الوحدات العسكرية، مع دراسة تاريخ هذه الفرق وتخصصها العسكري، وأهم الأماكن التي أقامت بها، ثم نحلل أهم الأعمال التي قامت بها بالمقاطعتين خلال الفترة المدروسة.

2- الكتائب السورية المساعدة Cohors في مقاطعتي البروقنصلية ونوميديا

تُعدّ الفرق العسكرية السورية إحدى أبرز الوحدات المساعدة التي دمجها الجيش الروماني في منظومته الدفاعية خلال العهد الإمبراطوري، حيث لعبت دورًا محوريًا في تدعيم القدرات القتالية لروما داخل المقاطعات، ولا سيما في إفريقيا البروقنصلية ونوميديا. وقد اكتسبت هذه الوحدات خصوصيتها من مهارة جنودها في الرماية بالقوس المركب والنبال وامتلاكهم خبرة واسعة في القتال ضمن البيئات الصحراوية الوعرة، مما أهلهم لتأدية مهام عسكرية متنوعة، شملت حماية الحدود، ومراقبة القلاع والطرق، والمشاركة إلى جانب الفيالق النظامية في المعارك الكبرى. كما مثلت هذه الفرق عاملاً مهماً في سياسة "الرومنة"، إذ كان أفرادها يحصلون على المواطنة الرومانية بعد استكمال الخدمة العسكرية، وهو ما ساهم في دمجهم ضمن النسيج الاجتماعي والسياسي للإمبراطورية، ويبرز حضور هذه الوحدات في النقوش والآثار المكتشفة بمواقع مختلفة

الوحدات السورية المساعدة في الجيش الروماني بمقاطعتي البروقنصلية ونوميديا خلال العهد الامبراطوري الأعلى

في شمال إفريقيا دليلاً على أهميتها في تعزيز الأمن والاستقرار، فضلاً عن دورها في نشر النموذج العسكري والثقافي الروماني داخل الأقاليم التابع، وقد تم إحصاء أربع كتائب عسكرية وفصيلتين مساعدتين رُتبت حسب تاريخ استقدامها التقريبي إلى المقاطعتين وهي.

2-1- الكتيبة الأولى المختلطة للخلقيديونيين Cohors I Chalcidenorum Equitata

تُعَدُّ الوحدات العسكرية السورية من أبرز الفرق حضوراً في بلاد المغرب القديم، إذ تشير النقوش اللاتينية المتنوعة إلى وجود عدة وحدات منها. فقد استقرت الكتيبة الخلقيديونية الأولى المختلطة (مشاة وخيالة) في نوميديا، إلى جانب الكتيبة الرابعة المختلطة للخلقيديونيين في موريطانيا القيصرية، وكتاتهما تعودان إلى مدينة خالكيس (Chalcis)، وهي قنسرين الواقعة قرب حلب في شمال غربي سوريا حالياً (بخوش، 2018). كما ثبت وجود كتيبة أخرى في سوريا تعرف بالكتيبة الفلافية الأولى للخلقيديونيين المختلطة ورماة النبال Cohors I Flavia Chalcidenorum equitata sagittariorum، وذلك خلال سنتي 157م و162م (Cagnat, 1913, p. 201)، ومن حيث التسمية واللاحقة Flavia يتضح أن هذه الوحدة ليست ذاتها التي أرسلت إلى إفريقيا. أما الكتيبة الفلافية الرابعة للخلقيديونيين الرابعة، فقد جندت هي الأخرى من خالكيس بسوريا بعد سنة 70م، على يد الفلافيين، وقد استقرت في البداية في ميسيا السفلى، أين خلفت شواهد عسكرية مؤرخة بسنة 137م، قبل أن تعود إلى سوريا مجدداً سنة 157م (Dubois, 2015, p. 236).

تعتبر الكتيبة الخلقيديونية الأولى المختلطة من أوائل الفرق التي وصلت إلى المنطقة المغاربية، وكان ذلك في عهد الأسرة الفلافية، استناداً إلى نقيشة عثر عليها في روما والمؤرخة بما قبل سنة 78م، ويرجح أن وصولها تم في عهد الامبراطور فيسباسيانوس (Benseddik, 1982, p. 51; Cagnat, 1913, p. 201)، الذي يفترض أن يكون هو صاحب قرار تحويلها لدعم وحدات الجيش الروماني بإفريقيا (C.I.L.VIII, p. 80; Le Glay, 1968, p. 119; Carcopino, 1925, p. 26, 319; Leschi, 1957, pp. 3538)، وكانت المراكز العسكرية في طرابلس أولى المحطات التي استقرت بها الكتيبة، قبل أن تنقل لاحقاً إلى نوميديا، حيث ثبت تواجدها في معسكر القصبات (C.I.L.VIII, p. 17980; A.E.1950, pp. 56, 64)، وذلك استناداً إلى نقيشة مؤرخة بما بين 10 ديسمبر 125 و9 ديسمبر 126م (Lenoir, 2011, p. 215; Leschi, 1957, p. 221)، ووفقاً لما ذكره "ليسكي"، فقد استقرت هذه الوحدة في وادي الجدي في سنة 126م، ثم انتقلت ما بين سنتي 163-164م إلى منطقة "بير أم علي" الواقعة على الطريق الرابط بين تبسة وقفصة، حيث خلفت عدة شواهد أثرية هناك (Gsell, 1922, pp. 3840, 3841, 3842, 3843, 3765; C.I.L.VIII, pp. 17587, 17588, 17586). إهداءات ونصب جنائزية من قادة وجنود هذه الكتيبة.

هذا وثبت تواجد كتيبة الخلقيدونيين الأولى في حصن القنطرة من خلال نقيشة تخص الضابط "أغريبا Agrippa"، الذي كان في البداية ضابط الكتيبة التراقية الثالثة Coh. III Thracum في سوريا، ثم وكلت إليه مهمة قيادة الكتيبة الخلقيدونية الأولى Coh. I Chalcidenorum ذات الأصول السورية أيضا، ليتولى بعدها قيادة النبالة التدمريين Palmyrenorum Sagittariorum (Le Bohic, 1989, pp. 172-173; Carcopino, 1925, pp. 121-122)، وقد أرخت هذه النقيشة بفترة حكم الامبراطور ماركوس اوريليوس.

كما سبق وأشرنا سابقا فقد جندت كتيبة للخلقيدونيين في موريطانيا القيصرية من خلال نقيشة عثر عليها في معسكر تعراس Tatilti، والمؤرخة بفترة حكم السيفيريين "198-209م" (Benseddik, 1982, pp. 221, Ins. N°108)، ونقرأ فيها العبارة التالية: "كتيبة فلافية الرابعة للخلقيدونيين المختلطة ورمالة السهام Quarta flauia Chalcidenorum Equitata Sagittariorum"، وتوطن الكتيبة الخلقيدونية الرابعة في معسكر تعراس كان يهدف أساسا إلى منع القبائل الرحل من التوغل نحو الشمال، نظرا للموقع الاستراتيجي لهذا المعسكر الذي يتوسط شبكة من الحصون والمعسكرات الرومانية، منها سور الغزلان وسور جواب في الشمال الشرقي، وعين غريميدي ain grimrdi في الجنوب الغربي، وأراس Aras في الجنوب، هذا التوزيع الجغرافي مكّن الكتيبة من مراقبة التحركات البدوية وضمان استقرار الجنود (Salama, 1953, p. 236; Benseddik, 1982, p. 174).

استنادا إلى التسمية والنطاق الجغرافي الذي تغطيه النقوش والشواهد المخدلة لهذه الكتيبة، يتبين أنها وحدة مختلطة تضم المشاة والخيالة، بالإضافة إلى عناصر من رماة النبال والسهام، وهذا يتلاءم مع شهرة الفرق المجندة من سوريا، وهو الاختصاص السائد لدى أغلب عناصر تشكيلاتها المتمركزة في الليمس النوميدي (LeBohic, 1976-1978, pp. 118-119)، وتمتاز قوات هذه الكتيبة بخفة سلاحها وعتادها، وبسرعة تحركها ومناورتها، ويستخدمها الجيش غالبا في عمليات مناوشة العدو لإرهاقه تمهيدا لمهاجمته والقضاء عليه (Le Bohic, 1989, p. 71).

2-2- الكتيبة السادسة المختلطة للكوماجينيين Cohors VI Commagenorum Equitata:

أصول هذه الكتيبة من إقليم "كوماجيني Kommagênê" في الجنوب الشرقي للأناضول، ويرجح أن موطنها كان من منطقة "أنطاكية" الحالية، غير أن الباحثين درجوا على تصنيفها ضمن الوحدات العسكرية السورية (Cheesman, 1914, p. 181)، وقد خلدت النقوش عديد الفرق التي جندت من هذه المنطقة، ففي مقاطعة "داقيا السفلى" وجدت "الكتيبة الثالثة للموماجينيين Coh. III Commagenorum"، وفي "داقيا السفلى" نجد "الكتيبة الفلافية الأولى للكوماجينيين" (Cheesman, 1914, p. 151)، وكتيبة ثالثة خدمت في مويسيا العليا وداقيا العليا تعرف بالكتيبة

الوحدات السورية المساعدة في الجيش الروماني بمقاطعتي البروقنصلية ونوميديا خلال العهد الامبراطوري الأعلى

الفلافية الثانية المختلطة للكوماجينيين النبالة Coh. II Flavia comm. Equitata Sagittariorum (Dubois, 2015, p. 183).

والملاحظ في هذه الكتائب هو اللاحقة "فلافيا"، ما يشير إلى فترة تجنيدها في عهد الأسرة الفلافية، وقد خلدت هذه الكتيبة تحديدا في شهادة عسكرية واحدة فقط مؤرخة بـ 28 جانفي 154م في موريطانيا الطنجية (غازي، 2011، الصفحات 99-100)، اكتشف في معسكر سيدي عيسى بسوق الأربعاء، يرى روبيفا أن وجود هذه الكتيبة في المنطقة كان مرتبطا بمهمة محددة خلال هذا التاريخ، أو أنها وصلت إليها بعد نهاية القرن الثاني الميلادي، حيث ربما خلدت في شواهد ونقوش فقدت لاحقا ولم يعثر عليها (Rebuffat, 1995, p. 52).

فيما يخص الكتيبة التي جندت بمقاطعة نوميديا فيرى لوبوهيك أنها وصلت في فترة الأسرة الفلافية، ونفس الرأي نجده عند لوغلي، اما كانيا فيقترح القرن الأول وبعد وفاة فاسباسيانوس (Cagnat, 1913, p. 202; Le Glay, 1968, pp. 202, N° 3; Le Bohic, 1989, p. 73)، وباعتبار أن الكتيبة لم تذكر باللاحقة "فلافية" فيحتمل أنها جندت خلال الفترة الأنطونية، وربما خلال حكم تراجانوس؟ (Medinger, 1933, p. 233).

أول النقوش التي خلدت هذه الكتيبة في إفريقيا جاء في نقيشة لامبار (C.I.L.VIII, p. 2532=18042) والمعروفة بخطاب هاديانوس خلال زيارة لإفريقيا سنة 128م، وفي ضمن هذا الخطاب أثنى على الكتيبة السادسة للكوماجينيين قائلا: "إلى فرسان الكتيبة السادسة للكوماجينيين: إنه من الصعوبة على فرسان ملحقين بكتيبة مشاة الحصول على الاستحسان حتى من قبل أنفسهم، وإنه من الأكثر صعوبة أيضا بالنسبة لهم إلا يتعرضوا للإغاطة (الانتقادات) بعد المناورة المقدمة من قبل جناح الفرسان؛ فعلى الرغم من أن مدى (أبعاد) ميدان التدريب مختلف، عدد رماة الرماح مختلف (أقل عند فرسان الكوماجينيين)، فإن استدارتهم إلى اليمين كانت كتشكيل متراص، كما نفذوا المناورة الكنتارية catabrian بتلاحم، جمال أحصنتهم وروعة أسلحتهم تتماشى مع مستوى روايتهم، لكن أنتم على الرغم من الحرارة تمكنتم من تجنب أي ضجر بفضل همتكم وعبر تنفيذ كل ما يلزم به بنشاط واجتهاد، علاوة على ذلك، قمتم برمي الحجارة بالمقاليع وتبارزتم بالرمح الخفيفة، وفي كل مناسبة كنتم تمتطون الأحصنة بسرعة وتقفزون بها في كل مكان برشاقة. الرعاية البارزة لمفوضي "فاتولينوس"، الرجل اللامع، واضحة من خلال أنه لديه رجال مثلكم تحت قيادة..." (بقار، 2021، الصفحات 139-140)، وفيما يخص مكان إقامة كتيبة الكوماجينيين فإن لوبوهيك يقترح موقع خربة أولاد عريف (وادي شعبة Lambiridi) كأحد مراكز إقامتها خلال القرن الثاني ميلادي (Le Bohic, 1989, p. 74; A.E.1980, p. 960)، في حين حددت غيدون معسكرها عند "عين فوة" خلال زيارة هاديانوس سنة 128م (Guédon, 2006, p. 694).

هذا وتفيدنا مجموعة من النقوش في تتبع مواقع استقرارها أو على الأقل المناطق التي عسكرت بها. في البداية، كانت منطقة الأوراس والزبان وحتى جنوب الحضنة غربا، من أبرز المواقع التي نشطت فيها عسكريا، وتسجل أول عملية قامت بها كانت إلى جنوب نوميديا فيما عرف بحملة "أقناب" بجبال عمور سنة 174م، استنادا إلى نقيشة اكتشفت سنة 1878م على الضفة اليمنى لوادي أقناب شمال جبال عمور، بين البيض وأفلو، وذلك برفقة فصيلة من الفرقة الفلافية. وقد اختلفت التفسيرات حول أهداف هذه الحملة؛ فبين من اعتبرها مجرد عملية صيد واستكشاف أو عملية استخبار واستعلام، وبين من رأى فيها تدخلا عسكريا للقضاء على بعض التمردات التي شهدتها موريطانيا القيصرية والطنجية (بقار، 2024، الصفحات 275-296).

وبعد هذه العملية الاستخباراتية، برز نشاط الكتبية في موقع "مسرفلة" Mesarfelta في حوالي سنة 177م، حيث أسندت إليها مهمة تهيئة وتوسيع مدرج "الوطاية" شمال بسكرة (C.I.L.VIII, p. 2488; A.E.1950, p. 197; Cagnat, 1913, p. 202; Gsell, 1911, pp. F° 37, N° 64-70)، وهو معلم مخصص للاستعمال المدنيين وليس العسكري (Le Bohic, 1989, p. 74)، ومن هذا المنطلق يرى كركوبينو أن هذا الموقع كان بمثابة حامية عسكرية أقامت فيها كتبية الكوماجينيين مع نهاية حكم الامبراطور "ماركوس اوريليوس" وحكم الامبراطور "كومودوس" (Carcopino, 1925, pp. 114-115)، غير أننا نجد لهذه الكتبية نقيشة تخليدية أخرى بمعسكر لامباز مؤرخة بسنة 198م، أي في عهد الامبراطور "سبتيميوس سيفيروس".

ومع مطلع القرن الثالث ميلادي، تظهر الكتبية في موقع آخروهو حامية "زراية"، الأمر الذي أثار جدلا في مسار استقرارها بين نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث ميلاديين، إذ يرى "سيشروس" أن الكتبية السادسة الكوماجينية كانت متواجدة بزراية خلال نهاية القرن الثاني، حيث عُوْضت لاحقا بالكتبية الفلافية الأولى المختلطة التي بقيت لغاية سنة 202م (بقار، 2021، صفحة 139)، أما كركوبينو فيذكر أن الكتبتين اشتغلتا معا في حامية زراية حتى نفس السنة – أي 202م- (Carcopino, 1918, pp. 13-14).

من خلال النقوش التي خلدت نشاط هذه الكتبية، ومما ورد في خطاب الامبراطور هادريانوس، يتضح أن الكتبية كانت مختلطة تضم المشاة والخيالة معا، فقد وجه هادريانوس خطابه لفرسان الكتبية (بقار، 2021، صفحة 139)، كما تظهر نقيشة أقناب مشاركة ضابطين من الفرسان برتبة قائد العشرة في الحملة على جبال عمور سنة 147م (بقار، 2024، الصفحات 280-282)، وكما أشرنا سابقا، فإن أغلب الفرق السورية كانت تضم رماة السهام والنبال والرماح، وهو ما يؤكد وصف هادريانوس لأداء الجنود بقوله: "بالرغم من الحرارة تمكنت من تجنب أي ضرر بفضل همتمكم وعبر تنفيذ كل ما يلزم به بنشاط واجتهاد، علاوة على ذلك، قمتم برمي الحجارة بالمقاليع وتبارزتم بالرماح الخفيفة" (بقار، 2021، صفحة 139).

الوحدات السورية المساعدة في الجيش الروماني بمقاطعتي البروقنصلية ونوميديا خلال العهد الامبراطوري الأعلى

أما فيما يخص وجود راكبي الجمال "الهجانة" ضمن هذه الكتيبة، فلا نملك أي إشارة مؤكدة، باستثناء ما ذكره بن نابو في أن كتيبة الكوماجينيين ضمت بالفعل فرقة من الهجانة خلال حملتها على أقناب سنة 147م، وكانت مهمتهم مراقبة تحركات الرحل الصحراويين (Benabou, 1976, p. 151).

2-3- الكتيبة الثانية للحماتيين Coh. II Hamiorum: تضاف هذه الكتيبة إلى مجموع الوحدات السورية التي جندت في بلاد المغرب القديم، وبالأخص في مقاطعة الطرابلسية وأفريقيا البروقنصلية ونوميديا، وذلك استنادا إلى توزيع الشواهد والنقوش الدالة على حضورها رغم قلتها. تعود الكتيبة الحماتية في أصلها إلى مدينة "حماة" السورية، وتعد نقيشة لامباز أقدم إشارة إلى وجودها (A.E.2002, p. +1689; A.E.1974, p. 724; C.I.L.VIII, p. 2532=18942)، والتي تمثل خطاب هادريانوس سنة 128م (Bohic, 2002 (1999), p. 160)، الذي نقرأ فيه المقطع التالي: "في بداية calendes جويلية iulius إلى الكتيبة الثانية للحماتيين، بما أن القلعة تعمل (تشتغل) ضدك... على ميدان التدريب المناسب... تم التناجز... حتى انه قطع الماء..." (بقار، 2021، صفحة 138).

ويرى لوبوهيك أن مجال نشاط هذه الكتيبة العسكري كان في منطقة الأوراس، دون تحديد دقيق لمواقع تركزها (Le Bohic, 1989, p. 82)، أما الإشارة الثانية فتظهر في نقيشة وجدت بهنشير بوسباو بتبسة (I.L.Alg., p. 3765; C.I.L.VIII, p. 10654)، حيث وضع يوليوس فاليريوس Iulius Valeirus وهو جندي في الكتيبة الثانية للحماتيين شاهد جنازي لوالدته، وقد أرخت هذه النقيشة بالقرن الثاني الميلادي.

استنادا إلى الإشارات الأخرى التي تذكر هذه الكتيبة، يرجح أنها نقلت شرقا إلى إقليم طرابلس. حيث قدم لوبوهيك وماتينغلي قراءة لبعض النقائش التي تؤكد استقرارها هناك (Le Bohic, 1989, p. 84; Mattingly, 2015, pp. 73-80) ففي نقيشة عين ويف Thenadassa (A.E.1950, p. 126) نقرأ فيها أن كانينيوس أدبوتور M. Caninius Adiutor، وهو قائد الكتيبة الثانية للحماتيين، قام بتكريس إهداء جنازي للإله "جوبيتر Iupiter Dolichenus على شرف الامبراطور والأمرء الأباطرة. ونقيشة أخرى لجندي يدعى M. Coelius ...ninus (A.E.1950, p. 127)، فضلا عن ضابط آخر يدعى يونيوس سيكيسوس Iunius Suc(c)essus.

2-4- الكتيبة الأولى للسوريين رماة السهام Coh. I Syrorum Sagittariorum: من بين الكتائب السورية التي ثبت وجودها بالمقاطعات الأفريقية نجد الكتيبة الأولى للسوريين Coh. I Syrorum، والتي خلدتها نقيشة وجدت بلامباز (A.E.1892, p. 13)، حيث يرى لوبوهيك أن الأمر يتعلق بأحد عناصر هذه الكتيبة، وهو النقيب بولايوس سابينوس Bullatius Sabinus، الذي أنشأ

لها مقبرة جماعية، ولا يعني ذلك حضور كامل الكتيبة في مقاطعة نوميديا (Le Bohic, 1989, p. 90). أما نقيشة "عين العوينية" فتذكرها بصيغة "الكتيبة الأولى للسوريين رماة السهام Cohortis Syrorum sagittariorum" (A.E.1962, p. 304)، وهذا ما جاء في شهادتين عسكريتين؛ الأولى مؤرخة بآكتوبر-ديسمبر من سنة 127م، واكتشفت في نواحي الدانوب السفلي، والثانية اكتشفت بآسيا الصغرى، ومؤرخة بما بين 126-130م. وقد ثبت وجودها كذلك في مقاطعة لوزيتانيا مع نهاية القرن الأول، بينما تعود أول إشارة لتواجدها في إفريقية إلى الفترة الممتدة ما بين 209-211م في عين العوينية بإقليم طرابلس السابقة الذكر (بقار، 2021، صفحة 142).

ويبدو أن الكتيبة الأولى للسوريين قد استقرت بالفعل في إقليم طرابلس، حيث يشير "ماتينغلي" أنها أقامت بقلعة "الزنتان"، أو في المناطق المجاورة لإدرف Edref، واستمر وجودها هناك حتى سنة 246م (Mattingly D., 1991, p. 76)، فضلا عن تخليدها في نقوش أخرى على غرار نقيشة عثر عليها بحامية "القرية الغربية" بعد سنة 238م، التي تعتبر مقرا لها أو لإحدى مزارعها، ليضيف ماتينغلي أن هذه الكتيبة تنتمي لجنود التخوم الحدودية الطرابلسية، فيما عرف بالليمس التنثيتانوسي Limes Tentheitanus، حيث شغلت حصنا صغيرا شيد حوالي 244-246م، بأبعاد تقدر بـ 15x16م، وبعد تكملته لنص النقيشة المكتشفة بقصر الدويب يخلص إلى أن الكتيبة الأولى للسوريين حملة الأقواس، وهي كتيبة ألفية خلال القرن الثالث ميلادي، كان يقودها النقيب نيميسيوس ماكسيموس Mimisius Maximus، هي التي كانت تقيم في قصر الدويب، وذلك للدفاع عن هذا القطاع الحدودي من جهة، والعمل الزراعي من جهة أخرى (Mattingly D., 1991, pp. 79-81).

أما من حيث التخصص العسكري، فتؤكد النقوش أن هذه الكتيبة تميزت بكونها كتيبة رماة السهام، وربما ضمت أيضا عناصر من المشاة والخيالة، مما يجعلها وحدة مختلطة، وبالنظر إلى انتماء جنودها إلى قوات الحدود limitanei في الليمس الطرابلسي، وارتباطهم بالمناطق الصحراوية، يرجح ماتينغلي أنها تضم راكبي جمال (Mattingly D., 1991, pp. 66,80)، نظرا لمنطقة الاستقدام والطابع المناخي لها والمهام الميدانية، وقد أظهر جنود هذه الكتيبة قدرة عالية على التأقلم مع الظروف المناخية الحارة التي ميّزت القطاع الطرابلسي.

3/ الفصائل العسكرية السورية Numerus

3-1- فصيلة الحمصيين Numerus Hemesenorum: تعود أصول هذه الفصيلة إلى مدينة "حمص السورية" (Carcopino., 1933, p. 20)، وقد ورد ذكرها في عدة نقائش عثر عليها في القرية الحمراء والقرية البيضاء على ضفاف واد الحي الذي يشق واحة القنطرة من الشمال إلى الجنوب، إضافة إلى نقائش أخرى كشف عنها "بيكار" في موقع "ديميدي" (Picard, 1944, pp. 195-208)، ومن بين هذه التسجيلات اللاتينية نجد ثلاثة نقائش تؤرخ بفترة حكم الامبراطور "كراكلا" (211-

الوحدات السورية المساعدة في الجيش الروماني بمقاطعتي البروقنصلية ونوميديا خلال العهد الامبراطوري الأعلى

217م)، اثنتان منها جاءت بصيغة "Numerus Hemesenorum" (C.I.L.VIII, p. 2496; A.E.1933, "Numerus Hemesenorum" (p. 46)، بينما جاءت نقيشة أخرى بصيغة "Numerus Hemesenorum Antoninianus" (C.I.L.VIII, p. 2494).

أما تاريخ وصول هذه الفصيلة إلى مقاطعة نوميديا فهو موضع خلاف بين الباحثين؛ فإذا كان الباحث ميشال دوبوا يذكر أن استقدامها تمّ خلال عهد الامبراطور "أنطينيوس التقي" (138-161م) إلى القنطرة (Dubois, 2015, p. 266)، فإن كاركوپينو يذكر استنادا إلى النقائش السابقة، إلى أن وصولها كان في عهد الأسرة السيفيرية، ويدقق أكثر بالإشارة إلى أن تجنيد الفصيلة الحمصية في الجيش الروماني تمّ قبل سنة 161م، وهو تاريخ تجنيد الرومان لأفراد هذه المدينة في الجيش الروماني (Carcopino J. , 1925, pp. 129-130; Carcopino J., 1932-1933, pp. 126-127; Carcopino, 1924, p. 322)، وفي موضع آخر يذكر أن نشر هذه الفصيلة في القنطرة جنوب نوميديا كان سنة 213م، ويربط ذلك مع ترقية مدينة حمص إلى مستعمرة في عهد كراكلا بعد شهر فيفري من عام 212م (Carcopino J. , 1925, p. 132)، ويتفق معه ألبرتيني في نسب وصول الفصيلة إلى عهد الأسرة السيفيرية، لكنه يرجح أن تكوينها تمّ سنة 198م وليس سنة 213م (Albertini E. , 1934, p. 28)، أي في السنوات الأخيرة من حكم سبتيموس سيفيروس، أي حوالي سنة 211م، وقد عملت جنبا إلى جنب مع الفصيلة التدمرية زمن الامبراطور كراكلا (193-220; Albertini, 1930-1931, p. 401).

وفي السياق نفسه، يذكر الباحث "لاسيس Lassus" أن الوحدات السورية قد جُلبت إلى نوميديا في فترة حكم الامبراطور "ماركوس أوريليوس"، غير أن غياب الأدلة الأثرية يدحض هذا الرأي، إذ إن جميع النقائش التي تخلد الفصيلة الحمصية مهداه لشرف الامبراطور كراكلا، ويخلص لوبوهيك إلى أن تواجد هذه الفصيلة في افريقيا يعود إلى عهد الاباطرة السيفيرين (Le Bohic, 1989, p. 116).

بالعودة إلى النقائش التي خلدت هذه الفصيلة، يصعب تحديد تخصصها العسكري ونوع السلاح الذي اختصت به، وما إذا كانت من المشاة أم خيالة أم مختلطة. غير أن كاركوپينو يرى أنها فصيلة مختصة في استخدام سلاح القوس sagittariorum (Albertini, 1931, p. 202; Albertini, 1930-1931, p. 403)، وهو الرأي الذي دعمه لوبوهيك (Le Bohic, 1989, p. 119)، أما فيما يخص طبيعة هذه الفصيلة؛ فالنقائش أيضا لا تقدم معلومات وافية باستثناء ما أوردها كاركوپينو في نقيشة تخلد فارسا ضمن هذه الفصيلة eques numeri Hemesenorum يدعى "دوميتيوس قالوينوس Dom(itiu)s C(a)luin(us)، وبالتالي نميل إلى أن الفصيلة مكونة من فرسان ومشاة، فهي إذن مختلطة (Albertini, 1931, pp. 202-203; Albertini, 1930-1931, p. 402)، خاصة وأن

النقيشة المكتشفة في القنطرة وتذكر "فيلوسيموس Filosimus" وهو جندي من صف المشاة Miles (A.E.1926, p. 145; A.E.1979, p. 676)، ويحمل لقب "iunior" الذي يعنى "رتبة في جمعية دينية" وليس في الجيش الروماني حسب لوبوهيك (Le Bohic, 1989, p. 120)، وما يدعم ذلك أيضا هو أن المناخ السائد في سوريا -وبالأخص منطقة حمص- لا يفرض بالضرورة تخصيصا محددا مثل وحدات النبال التدمرية.

فيما يخص أهم أعمال وأنشطة الفصيلة الحمصية بمقاطعة نوميديا، تدل الشواهد على أن كانت محدودة العدد، إذ لا يتجاوز قوامها المائة جندي تقريبا، ومن خلال الحصن الذي استقرت به في "Burgus Speculatorius" والذي يعرف حاليا باسم "خربة البرج"، وهو حصن يأخذ شكل مربع، بأبعاد تقدر بـ 40 م من الجوانب الأربع، مزود بأبراج مراقبة عند الزوايا الأربع (Lenoir, 197, p. 2011)، من خلال موقع القنطرة الاستراتيجي؛ الذي يعتبر منفذ هام إلى الشمال والجنوب عبر السلاسل الجبلية، مكنها من مراقبة المجال المحيط وضمان الربط العسكري مع مختلف المراكز الأخرى المجاورة، خاصة بعد توسيع نشاط الجيش العسكري إلى ما وراء خط الليمس النوميدي الثاني جنوبا، ومن بين هذه التحصينات نجد معسكر هنشير سلاوين، حصن سبع مقاطع، معسكري مدوكال ولوطاية، إلى غاية القصبات وجيملاي وبسرياني في الجنوب الشرقي لبسكرة، فضلا عن الربط الإشاراتي بمعسكرات القهرة وسدوري وديميدي بالجنوب الغربي، وبذلك تمكنت من التحكم -من خلال مختلف هذه المراكز الرقابية والدفاعية- في نقاط العبور الاستراتيجية خاصة عبر منخفض الصحراء الشمالية. (مجاني، 2021، صفحة 14)

ومن جهته يرى كاركوينو أن الفصيلة الحمصية تولت عملية الدعم العسكري لفصيلة التدمريين المستقرة جنوب القنطرة والمختصة في النبال، إذ عملت الفصيلة الحمصية على حماية ظهرها وسد النقص العددي، غير أن لوبوهيك قلل من دور الفصيلة الحمصية واصفا إياه بالتواضع، ربما بسبب قصر الفترة الزمنية التي قضتها في نوميديا أثناء حكم الاسرة السيفيرية (Le Bohic, 1989, p. 119).

وبالمجمل نرى أن مهمة هذه الفصيلة كانت مراقبة حركة الانتجاع والهجرة الموسمية، عبر التحكم في هذا الممر الجبلي للقنطرة، فقد أدرك الرومان أن التحكم في هجرة أو تنقلات القبائل الرحل وشبه الرحل يعد حريا بحد ذاتها، ذلك أن الأجهزة العسكرية الرومانية لم تكن موجهة ضد دولة بها جيش، ولكن نحو قبائل الجبليين والرعاة الرحل وأنصاف الرحل (Trousset, 1982, pp. 105-97)، وكان يتعين على البدو الرحل وقطعانهم المهاجرين أو العمال الموسمين الذين ينتقلون إلى الشمال كيد عاملة، أن يسترشدوا بدخولهم وخروجهم من الأراضي التي تعتبر رومانية إلى أماكن مرور معينة ملزمة في التضاريس المختلفة (M'Rabet, A; Trousse, A, 1999 (2000), p. 65)، بعد إغلاق بعض الممرات الطبيعية وترك أخرى كممر رئيسي.

الوحدات السورية المساعدة في الجيش الروماني بمقاطعتي البروقنصلية ونوميديا خلال العهد الامبراطوري الأعلى

وبذلك أصبحت الحركة القبلية -باعتبارها حيوية لبقاء هذه الجماعات- مصدرا لقلق روما التي رأت فيها تهديدا محتملا لاستقرار أراضيها، عندما لم تعد الصحراء تقدم أي شيء للقطعان (Gsell., 1933, pp. 165-166)، وبعيدا عن التمسك بالإعادة القسرية المنتظمة للقبائل البدوية، حاول الرومان بالفعل، عن طريق تثبيت الليمس في مراقبة هذه التيارات وضبط الفجوات، وفي هذا الإطار، اضطلعت الفصيلة الحمصية بدور استراتيجي في منفذ القنطرة، لضبط العبور والتحكم في هذه التحركات.

استنادا للنقائش التي تم الكشف عنها والتي تعود لهذه الفصيلة، يمكن استقراء بعض الأعمال المدنية التي قامت بها، حيث نقرأ في أحدها أن قائد المائة يوليوس دراكو Iulius Draco قام بأعمال صيانة لمعبد، مكرّسا إياه للإله الشمس الحمصي، ومهدى للأباطرة الثلاث، وهم سبتيميوس سيفيروس وابنيه كركلا وجيتا (Albertini, 1931, p. 199; Albertini., 1930-1931, p. 403).

وفي نقوش أخرى تعود للضابط "يوليوس أولوريو C. Iulius Aelurio نلاحظ أنه قام بعدة أعمال منها؛ تشييد حصن مراقبة في "خربة البرج" زمن الامبراطور كراكلا، وألحقه بمذبح مهدى للإله الشمس، فضلا عن بناء معبد للإله ذاته، ومهمة أخرى غير واضحة ربما تهيئة ساحة عمومية أو حديقة (C.I.L.VIII, p. 2494; A.E.1933, pp. 45-46)، وقد خُصص جميع هذه الأعمال تكريما لشرف الامبراطور كراكلا ولوالدته "يوليا دومنا"، أما نقيشة أوليبوس أوبتاتوس M. Ulpius Optatus فهي مكرسة على شرف الامبراطور "كراكلا" لتهنئته ووالدته "يوليا دومنا"، ومهداة للإله الشمس الحمصي، دون أن تبين النقيشة سبب الإنجاز وبالتالي توضيح بعض أعمالها الإضافية. تبرز هذه النقائش تمسك الجنود السوريين بعبادة آلهتهم المحلية، والمتمثلة في إله الشمس الحمصي، إلى جانب تقديس الإله "هرقل Hercule" كإله مقدس Herculi Sancto، كما يتضح إدراج اسم الامبراطور في معظم النقوش كإله معبود أيضا.

2-3- الفصيلة التدمرية للنباله Numerus Palmyrenorum Saggittariorum: تعد هذه

الفصيلة ثاني وحدة سورية ثبت تواجدها في مقاطعة نوميديا من صنف الفصائل، حيث جرى الاستعانة بها لدعم توغل الفيلق الأغسطي الثالث في التخوم الصحراوية، وكما هو الحال مع الفصيلة الحمصية، أثارت الفصيلة التدمرية نقاشا واسعا حول تاريخ وصولها إلى إفريقيا، والدوافع وراء استقدامها، فضلا عن أبرز المهام التي اضطلعت بها.

ظهرت الفصيلة في النقوش بعدة تسميات تعكس تطورها العسكري، فقد وردت غالبا بصيغة "فصيلة التدمريين Palmyrenorum. N n. Pal.، (A.E.1926, p. 144; " بينما أضيف لها في بعض (A.E.1940, pp. 147-150; A.E.1941, p. 156; A.E.1980, p. 954)

النقوش لقب السيفيرية Sevirianus (C.I.L.VIII, p. 2486=18007) وهي تلك التي تعود لفترة حكم الامبراطور ألكسندرسيفيروس، كما نجد في احدى النقوش وصفا أكثر تحديدا لها بصيغة "فصيلة التدميرين النبالة Num. Palmyrenorum Saggittariorum (A.E.1896, p. 35; A.E.1900, p. 197; A.E.1948, p. 208).

أما فيما يخص تاريخ الفصيلة، فيتفق معظم الباحثين المهتمين بالتواجد العسكري السوري في إفريقيا على أن وصول التدميرين كان في منتصف القرن الثاني للميلاد، مع اختلافات في ضبط التاريخ وكيفية تشكل هذه الوحدة العسكرية. يرى "كانيا" أن تاريخ وصول التدميرين إلى نوميديا كان في سنة 150م (Cagnat, 1913, p. 208) مستدلا بنقيشة لجندي تدمري يدعى "موقيمو Mocimus" الذي توفي عام 150م، أي في عهد الامبراطور أنطونينوس التقي (C.I.L.VIII, p. 3917=18202).

ونفس الرأي تقريبا نجده عند "براداس" الذي ينسب تواجد التدميرين لسنة 150م (Baradez, 1954, p. 129)، ويربطها بسياق الأحداث التي شهدتها موريطانيا القيصرية خلال منتصف القرن الثاني ميلادي (Farkas, 2011, p. 193; Holder, 2006, pp. 255-260; Dušanić, 1998, pp. 219-228)، أين استعانت السلطة الرومانية بوحدة عسكرية سورية تابعة لأحد الفيالق العسكرية وهو "فيلق فراتا السادس Legio VI Ferrata"، لتعويض القوات المنسحبة من الفيلق الأغسطي الثالث المشاركة في حملة القضاء على ثورة المور بالقيصرية (Benabou, 1976, pp. 135-140)، وبالتالي استقرت هذه الوحدة التدميرية في القنطرة مع منتصف القرن الثاني للميلادي (Cheesman, 1914, p. 88)، وهو نفس الرأي تقريبا نجده عند لوبوهيك الذي يحدد تواجدها بسنة 150-149م (Le Bohic, 1989, p. 145) مستندا بدوره إلى نقيشة "موقيمو" السابقة.

أما كاركوبينو فيفصل بين تاريخ أول وصول للتدميرين كجنود ضمن فرق أخرى، وبين تجميعهم في فصيلة مستقلة خاصة بهم، فهو يربط الحدث الأول بعهد الامبراطور أنطونينوس التقي ما بين 150-149م، بينما يربط الثاني بفترة الامبراطور سبتيميوس سيفيروس (Carcopino, 1933, p. 26)، وفي هذا السياق يستند إلى نقيشة الجندي التدمري السابق الذكر "أغريبا" والمكتشفة في القنطرة. الذي كان ضابط في الكتيبة التراقية الثالثة ثم تولى قيادة الكتيبة الخلقيدونية، قبل أن يسند إليه قيادة النبالة التدميرين Palmyrenorum Sagittariorum لمدة عشر سنوات كاملة (Carcopino J., 1925, pp. 119-120)، ومن هذا المنطق اقترح كاركوبينو أن هؤلاء التدميرين المختصين في استعمال النبال والقوس كانوا جنودا منتدبين ضمن فرق أخرى في عهد أنطونينوس، ثم جرى ترقيتهم إلى فصيلة نظامية في عهد الامبراطور ماركوس أوريليوس.

الوحدات السورية المساعدة في الجيش الروماني بمقاطعتي البروقنصلية ونوميديا خلال العهد الامبراطوري الأعلى

ومن جهته يرى ألبرتيني أن هذه الفصيلة تشكلت على مراحل؛ بداية كعناصر مدمجة في وحدات مختلطة خلال عهد الأسرة الفلافية ثم تحولت إلى فصيلة قائمة بذاتها خلال عهد السيفيريين (Albertini E. , 1934, pp. 39-41)، ويستند في ذلك إلى أن الكتيبة الأولى الخلقونية المختلطة قد ثبت تواجدها في افريقيا منذ سنة 78م وربما كانت تضم رماة السهام التدمريين (Carcopino J. , 1925, pp. 121-122)، وما يدعم هذا الطرح ما ذهب إليه "سايرغ" الذي أكد وجود جنود تدمريين في عدة فرق عسكرية، ليس في افريقيا فحسب، وإنما في مقاطعات أخرى في عهد الأسرة الفلافية ثم تجميعهم في فرقة اثنى سورية خالصة، مختصة في رمي السهام والنبال والاستكشاف في عهد الأسرة السيفيرية (Seyrig, 1941, pp. 155-175).

بعد ذلك نشر شابو سنة 1932 نقيشة غير مكتملة دون أن يحدد تاريخها بدقة (Chabot, 1932, p. 269)، لتتوالى الاكتشافات على يد كل من كركوبينو وألبرتيني (A.E.1926, p. 144; A.E.1941, p. 156; A.E.1980, p. 954; Carcopino J. , 1925, p. 126; Albertini, 1931, pp. 202, 8^{N°})، ثم نشر ليسكي نص لطاولة أوزان أو مقاييس Penderarium اكتشفت بالقنطرة، وتم تأريخها بما بين 169-167م (Lischi, 1954, pp. 178-181)، وهي تخلص اسم قائد مائة من التدمريين يدعى بماركوس لوكيوس توركيو Marco Lucceio Torquato، وبناء على ذلك، يستدل أن فصيلة التدمريين قد جُندت ما بين سنتي 169-167م واستقرت بمنطقة القنطرة، ليتوالى تخليدها في عدة نقوش مؤرخة بسنة 194م (A.E.1926, p. 144)، ثم في عهد كراكلا (C.I.L.VIII, p. 2486=18007)، كما استمر ذكرها خلال القرن الثالث للميلاد في نقوش مؤرخة بما بين 216-215م (Albertini, 1931, pp. 202-220; Chabot J.-B. , 1925, p. 242).

وفي هذه الفترة، ربما تم تقسيم هذه الفصيلة إلى مفارز، إذ نُقلت إحداها إلى حصن جيميلاي وحصن مسعد (Picard, 1944, p. 103)، وفي هذا الأخير خلفت لنا هذه الفصيلة عدة تسجيلات مؤرخة بما بين 235-226م (A.E.1940, pp. 00149, 00150; A.E.1948, pp. 00213, 235-226; C.I.L.VIII, p. 18020)، ويبدو أن هذه الفصيلة قد واصلت نشاطها لفترة أطول حتى بعد حل الفيالق الأغسطي الثالث وإخلال حصن ديميدي، إذ نجد تخليدا لجنودها في مراكز عسكرية أخرى منها معسكر القهرة عند الحدود النوميديّة الموريطنانية (C.I.L.VIII, p. 18026)، وفي التخوم الصحراوية النوميديّة عند حصن الدوسن (Carcopino J. , 1925, pp. 42-44).

وبالتالي، وعلى خلاف فصيلة الحمصيين التي كان تواجدها محدودا بعهد السيفيريين، حيث يقر كركوبينو أنها استمرت في النشاط على التخوم الصحراوية الرابطة بين جنوب الحضنة

والزيان، ويؤكد ذلك نقش مؤرخ بسنة 242م، يفهم منه أن مفرزة من فصيلة التدمريين ظلت على أهبة الاستعداد للتدخل العسكري والقتال.

فيما يخص تخصصها العسكري، فإن ترتيب النقوش المخدلة لهذه الفصيلة تاريخيا بمقاطعتي البروقنصلية ونوميديا، يظهر أنها كانت تحت قيادة قائد المائة يحمل لقب "Curam agentes" وأول من تولى قيادتها بهذا المنصب هو "أغريبا" في عهد الامبراطور ماركوس أوريليوس (A.E.1896, p. 35; A.E.1948, p. 00208)، وفي عهد سبتيميوس سيفيروس، تولى قيادتها قائد مائة آخر من الفيلق الأغسطي الثالث وهو "يوليوس ساتورنينوس Iulius Saturninus" (A.E.1926, p. 144)، ثم تذكر النقوش بعد ذلك اسم "أنيس فالنس M. Annius Valens" (C.I.L.VIII, p. 2486) تحت لقب جديد وهو "ضابط مأمور praepositi"، حيث قدم نقيشة اهدائية إلى الإله "ماركوريوس" مع تحية للإمبراطور كراكلا.

كما تخلد إحدى النقوش قائد آخر وهو "فاتيوس يوستوس Q. Vettius Iustus" (C.I.L.VIII, p. 18008) الذي كرّس نقيشة على شرف الإله "نبتون"، إلى جانب ذكر قائد مائة فيلبي يدعى "تيتوس كلوديوس T. Claudius" الذي قدم إهداء للإله "مالاجبل" التدمري (Albertini E., 1934, pp. 30-33).

وهذا التغيير في الألقاب ورتب قادة الفصيلة، يعود إلى ترقية مدينة تدمر إلى مستعمرة colonia حسب كانيا (Cagnat, 1913, p. 210)، أما كركوبينو فيربط هذا التغيير بالدور العسكري الذي تلعبه الفصيلة في التخوم الصحراوية، خاصة عند الحدود بين مقاطعتي نوميديا وموريطانيا القيصرية (Carcopino J., 1925, pp. 136-138).

وفيما يخص التخصص العسكري لهذه الفصيلة، فالنقوش تؤكد أنها مختلطة Equitata، حيث تضم فرسان ومشاة، مع وجود عناصر مختصة في "رمي السهام والنبال"، ومن المحتمل أن هذه الفصيلة قد اشتملت أيضا راكبي الجمال، وهو ما يؤكد كركوبينو الذي يرى أن التدمريين خلال فترة تواجدهم بنوميديا قد ساهموا في توظيف الجمال في العمل العسكري خلال العهد السيفيري (Carcopino J., 1925, pp. 136-138).

ويذهب فيلكس غوتيه E. F. Gautier إلى أن ظهور الجمال في بلاد المغرب والصحراء يعود إلى القرنين الثالث والرابع الميلادي، حيث أدخلته الفرق الرومانية المساعدة القادمة من سوريا، قبل أن يتبناه الرحل بعد أن أصبحت الخيول تعاني من قسوة المناخ الجاف (بوزيد، 2013، صفحة 83)، وأن الجمال أدخل إلى الصحراء من قبل القبائل البربرية الهاربة من توسع الاحتلال الروماني نحو الجنوب، وفي السياق نفسه، يؤكد كل من ش تيسو Ch. Tissot وقزال أن الجمال انتشر على نطاق واسع في الصحراء خلال القرنين الثالث والرابع الميلادي، أما جون لوا لوكلاك

الوحدات السورية المساعدة في الجيش الروماني بمقاطعتي البروقنصلية ونوميديا خلال العهد الامبراطوري الأعلى

فنقل عن الرحالة هنري بارث أن الجمل وجد منذ عهد الملوك النوميديين، لكنه لم يعرف انتشارا واسعا إلا ابتداء من القرن الرابع الميلادي (بوزيد، 2013، صفحة 83).

وتشير إحدى الشواهد إلى أنه في حدود سنة 200م كان الهجانة الغرامنت يمولون حصن بونجيم Bu Njem، حيث فرض الجفاف على المنطقة التخلي تدريجيا عن استعمال الخيول في الصحراء، وهذا يعزز ما ذهب إليه "سايرغ" الذي وصف الفصيلة التدمرية بأنها ضمت بالفعل هجانة ورماة سهام بارعين (Seyrig, 1941, pp. 220-229)، يناوشون العدو قبل المعركة وسريعون عند المطاردة (Cagnat, 1913, p. 154).

ومن جانبه، يرى ليسكي أن القيادة الرومانية لكي تواجه البدو الرحل وأشباه الرحل واعتداءاتهم، خاصة وأنهم كانوا يستخدمون الجمال في التخوم الرومانية، قامت بجلب السوريين لمواجهةهم، لمعرفة بطائع الصحراء وخبرتهم في هذا النوع من القتال (Leschi., 1942, pp. 54-59; Demougeot, 1960, p. 241)، وهذا ما يؤكد شنيقي بقوله: "من أشهر الإجراءات العسكرية المضادة للبدو هي معسكر ديميدي وحراسة السوريين الذين أوتي بهم من تدمير مجهزين بعتادهم الملائم لطبيعة البادية والصحراء وبركوبهم الجمل الذي لعب دورا رئيسيا في تمكين هؤلاء الجنود الهجانة من قهر البدو ومراقبة تحركاتهم، لقد كان الجنود التدمريين متمرسين على قتال البدو الشوام ومدركين لطبائع الرعاة وسلوكاتهم، مما مكّنهم من السيطرة على الوضع بذلك الموقع الهام الواقع في معبر رئيسي بين الجنوب والشمال والغرب" (شنيقي، 1986، صفحة 14)، أما الباحث Demougeat فقد تناول في دراسته عن الجمل في شمال إفريقيا الرومانية دور الفصيلة التدمرية، مؤكدا أنها ضمت خيالة وهجانة، وكان لهم دور بارز على مستوى الليمس النوميدي في ضبك الحدود ومراقبة التحركات (Demougeot, 1960, pp. 224-241).

3- خاتمة:

بعد دراسة الوجود العسكري للفرق السورية في مقاطعتي إفريقيا البروقنصلية ونوميديا، من خلال النقوش والشواهد الأثرية، يمكن الخروج بجملة من الاستنتاجات التي تعكس الأهمية البالغة لهذه الوحدات في الاستراتيجية العسكرية والسياسية الرومانية، فقد تدعم الجيش الروماني خلال القرن الأول ميلادي بالكتيبة الأولى المختلطة للخليقيدينيين، والكتيبة السادسة المختلطة للكوماجينيين، وخلال القرن الثاني الميلادي التحقت بالمقاطعتين كل من الكتيبة الثانية للحماتيين، وفصيلة الحمصين ثم التدمريين، ومع بداية القرن الثالث وصلت الكتيبة الأولى للسوريين رماة سهام.

يتضح أن تجنيد الجنود السوريين لم يكن أمراً عابراً، بل جاء ضمن سياسة رومانية ممنهجة تهدف إلى توظيف خبرات الشعوب الشرقية في ميادين محددة، وعلى رأسها رماة النبال

والسهام، إضافة إلى خفة الحركة والمقدرة على التكيف مع المناطق الجافة، وقد برزت هذه المزايا بشكل خاص في الفرق السورية التي ضمت رماة سهام وفرسان وهجانة، مما مكّنها من مواجهة القبائل البدوية وشبه البدوية في التخوم الصحراوية.

تثبت النقوش أن الفرق السورية لم تقتصر على دور عسكري بحت، بل لعبت كذلك أدواراً أخرى، حيث ساهمت في تشييد المرافق العامة وصيانة المنشآت وبناء الحصون وشق الطرق، إلى جانب إدماج آلهتها المحلية مثل إله الشمس الحمصي و"مالاجبل" التدمري في الفضاء الديني الإفريقي، وهو ما يعكس تفاعلاً حضارياً وثقافياً بين الجند السوريين والبيئة المحلية.

يظهر من تتبع مسار هذه الوحدات أن تمركزها كان غالباً في المناطق الحدودية الحساسة (القفطرة، الأوراس، الزيبان، ديميدي، جيميلاي، الدوسن، عين ويف، الزنتان وإدرف وغيرها)، أي على طول خطوط الليمس النوميدي والطرابسي، وهو ما يبرز طبيعة وظيفتها الاستراتيجية؛ مراقبة حركة الانتجاع والهجرة الموسمية، والتحكم في الممرات الجبلية والمعابر الصحراوية، إضافة إلى حماية الطرق التجارية وتأمين الإمدادات العسكرية.

يلاحظ أيضاً أن الرومان لم يتعاملوا مع هذه الوحدات باعتبارها مجرد قوات ملحقة، بل اعتبروها قوة قتالية أساسية ضمن المنظومة الدفاعية، حيث استمر حضور بعضها (خاصة الفصيلة التدمرية) حتى ما بعد حل الفيلق الأغسطي الثالث، وهو ما يبرهن على مدى فاعليتها في حماية الحدود وضبط الأمن الداخلي، كما يعكس صورة عامة عن ثقة روما في الجند السوريين، واعتبارهم عنصراً عسكرياً مهماً يمكن الاعتماد عليه في الأراضي الإفريقية، خاصة في ظل التشابه المناخي والبيئي بين سوريا والصحراء الإفريقية.

من الناحية العسكرية، تؤكد الشواهد أن هذه الوحدات كانت مختلطة (مشاة وفرسان)، مع تفوق رماة النبال، وإمكانية الاستعانة بالهجانة في بعض الحالات، وهو ما وفر للجيش الروماني قدرات قتالية متنوعة ومرنة، أتاحت له القيام بعمليات الاستكشاف، المناوشة، المطاردة، وضمن السيطرة على المجال الصحراوي الواسع.

وبالمجمل، نستنتج أن الفرق السورية في إفريقيا البروقنصلية ونوميديا لم تكن مجرد امتداد جغرافي للجيش الروماني، بل شكّلت جزءاً لا يتجزأ من المنظومة العسكرية والدفاعية الرومانية، وأسهمت في إحكام السيطرة على الجنوب الإفريقي سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، مع ما نتج عن ذلك من تلاقح حضاري وديني ساهم في إثراء النسيج الاجتماعي لتلك المناطق.

المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

— بخوش، ز، 2018، التنظيم العسكري بنوميديا الجنوبية (الإقليم الأوراسي)، مجلة الجزائرية للأمن والتنمية، ع 13.

الوحدات السورية المساعدة في الجيش الروماني بمقاطعتي البروقنصلية ونوميديا خلال العهد الامبراطوري الأعلى

- بقر، أ، 2021، الجيش الروماني في إفريقيا البروقنصلية ونوميديا خلال زيارة الامبراطور هادريانوس لبلاد المغرب سنة 128م، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مج 18، ع 1.
- بقر، أ، 2024، مهمة استخباراتية للجيش الروماني في "أقناب" بجبال عمور سنة 174م، مجلة المقدمة للدراسات الانسانية والاجتماعية، مج 9، ع 2.
- بن بوزيد، ل، 2013، الجمل فيما قبل التاريخ الشمال الإفريقي، مجلة علوم الانسان والمجتمع، ع 6.
- بن عطير، م.ع، 2002، الجيش الروماني من الميليشيا إلى الاحتراف، مجلة المفكر، مج 6، ع 2، ديسمبر.
- بن ميس، ح.غ، 2011، نقائش لاتينية لموريطانيا الطنجية، الرباط، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.
- شنيقي، م.ب، 1986، التوسع الزراعي الروماني وظاهرة البداوة في الجزائر القديمة، مجلة الدراسات التاريخية، ع 2.
- عيساوي، ر، 2020-2021، الرتب العسكرية النخبوية للجيش الروماني في مقاطعتي إفريقيا البروقنصلية وموريطانيا القيصرية خلال العهد الامبراطوري الأعلى 27 ق.م- 284م، أطروحة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في تاريخ بلاد المغرب القديم، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حمة لخضر، الوادي.
- مجاني عزالدين، 2021، الفرق المساعدة للفيلق الأغسطي في نوميديا خلال المرحلة السيفيرية (197م-235م) من خلال النقائش الأثرية، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 4، ع 2.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

- Année Epigraphique, 1892, 1896, 1900, 1926, 1933, 1940, 1941, 1948, 1950, 1962, 1974, 1979, 1980, 2002, 2006. Paris, PUF.
- Albertini (E), 1930-1931, La garnison d'El Kantra, B.C.T.H.
- Albertini (E), 1931, *Inscription d'El Kantra et de la région*, Rev. Afr. N° 72, 1931.
- Albertini (E), 1934, *à propos des numeri syrien de la Numidie*, Rev. Afr., 75.
- Baradez (J.), 1954, *Les nouvelles fouilles de Tipasa et les opérations D'Antonin le Pieux en Maurétanie*, Libyca ar-ep., II, 1er sem., 1.
- Benabou (M.), 1976, *La Résistance africaine à la romanisation*, Paris, Maspero.
- Bennett (J), 2001, *Regular Roman Auxiliary regiments formed from the provinces of Asia Minor, Anatolica*, N° 37.

- Benseddik (N), 1982, *Les troupes Auxiliaires de l'armée romaine en Maurétanie Césarienne sous le Haut-Empire*, S.N.E.D.
- Cagnat (R), 1913, *L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs*, Paris, Leroux.
- Carcopino (J), 1918, *Les Castella de la plaine de Setif d'après une inscription latine récemment découverte*, Rev. Afri. N°. 59.
- Carcopino (J), 1924, *Sur l'extension de la domination romaine dans le Sahara de Numidie*, Rev. Afr, N° 72.
- Carcopino (J), 1925, *Le Limes de Numidie et sa garde syrienne*, in Syria, VI.
- Carcopino (J), 1932-1933, *L'arrivée des syrienne sous les Sévères*, B.C.T.H.
- Carcopino (J), 1933, *Note complémentaire sur les Numeri syriens de la Numidie romaine*, Syria, T. 14, Fasc. 1.
- Chabot (J. B), 1932, *Nouvelle inscription palmyrénienne d'Afrique*, C.R.I.A., N° 76.
- Chabot (J-B), 1925, *Deux inscriptions trouvées en Afrique*, C.R.I.A.
- Cheesman (G.L), 1914, *The Auxilia of the roman imperial army*, Oxford, clarendon press.
- Demougeot (E), 1960, *Le chameau et l'Afrique du Nord romaine*, Annales, 15-2.
- Dubois (M), 2015, *Auxillae, Cohorts peditatae and equitata*, kindle édition.
- Dušanić (S.), 1998, *Fragment of a Severan Auxiliary Diploma: Notes on a Variety of the "Two-Province" Diplomata*, Z.P.E., 122.
- Goodman (M), 1997, *Roman World 44 BC-180 AD.*, London, Routledge.
- Gsell (St), 1922, *Inscriptions Latines d'Algérie*, V. 1, T. 1, recueillies et publiées par St. Gsell, Librairie Honoré Champion.
- Gsell (St), 1933, *La Tripolitaine et le Sahara au IIIe siècle de notre ère*, Mémoires de l'institut de France, N° 43-1.
- Gsell (St.), 1911, A.A.A., T.I, 1, Alger, éd. Adolphe Jourdan.
- Guédon (St.), 2006, *Les voyages des empereurs romains en Afrique jusqu'au IIIe Siècle*, Afr. Rom., en : Mobilità delle e dei dinamiche migratorie emigrazioni ed emmigrazioni nelle province occidentali dell'Impero roùani, Atti des XVI convegno di studio, Rabat, 15-19 dicembre 2004, a cura di M. Akerraz., P. Ruggeri, Roma, Carocci editore, II.
- Harknees (A), 1887, *Military system of the romans*, New York, Erdkamp.
- Holder (P.) 2006, *Two Military Diplomas from the Reign of Antoninus Pius*, Z.P.E., 156.

الوحدات السورية المساعدة في الجيش الروماني بمقاطعتي البروقنصلية ونوميديا خلال
العهد الامبراطوري الأعلى

- István Gergő Farkas, 2011, *La partecipazione delle truppe del limes danubiano nella spedizione di Antonino Pio contro i Mauri*, Quaderni Friulani di Archeologia XXI.
- Le Bohec (Y), 1976-1978, *Les auxiliaires de la Troisième Légion Auguste*, BCTH,
- Le Bohec (Y), 1989, *Les Unités Auxilliaire de L'armée Romaine en Afrique Proconsulaire et Numidie sous le Haut-Empire*, Paris, C.N.R.S.
- Le Bohic (Y), 2002 (1999), *Les discours d'Hadrien à Lambèse*, Bulletin de Société nationale des Antiquaires de France.
- Le Glay (M), 1968, *Les Flavien et l'Afrique*, T. 1, Paris, Arts et Métiers graphiques.
- Lendelle (A), 2008, *Les légionnaires Romains au temp de César*, les éditions maison.
- Lenoir (M), 2013, *le camp romain, Proche-Orient et Afrique du Nord*, Rome, E.F.R.
- Leschi (L), 1942, *Rome et les nomades du Sahara central*, dans Trav. Inst. Rech. Sahar.
- Leschi (L), 1954, *Autour de l'Amphithéâtre de Lambèse*, Libyca, II, 1.
- Leschi (L), 1957, *Découvertes épigraphique dans le camp de Gemellae (el-Kasbet, Algérie)*, Paris, étude d'épigraphie, d'archéologie et d'histoire, Arts et Métiers graphiques.
- M'Rabet (A.), Troussset (P.), 1999 (2003), *Axes de circulation, mobilité et contrôle des hommes dans la zone du limes d'Afrique*, dans Mobilité des hommes et des idées en Méditerranée Actes du colloque d'Histoire, Faculté des Lettres et des Scie. Hum., Sousse.
- Mattingly (D. J.), 1982, *The Roamn Road (Station at Thenadassa (Ain Wif)*, Libyan Studies, V. 13, 1982, Piblished online by Cambridge Univ. Press.
- Mattingly (D. J.), 1991, *The constructor of Gasr Duib, Numisius Maximus, Trib.(unus cohortis I Syrorum sagittariorum)*, Ant. Afr. V. 27.
- Medinger (P.) 1933, *l'arc turquois et les archers Parthes à la Bataille de Carrhes*, R.A.
- Picard (Ch), 1944, *Castellum Dimmidi*, Paris, de Boccard.
- Rebuffat R., 1988, *L'implantation militaire romaine en Maurétanie Tingitane*, Afr. Rom. atti del 4. Convegno di studio, 12-14 dicembre 1986, Sassari (Roma), Sassari.
- Seyrig (H), 1941, *Antiquités Syriennes*, Syria, T. 22, N° 2.
- Troussset (P), 1982, « *L'image du nomade saharien dans l'historiographie antique* », Production pastorale et Société, Paris, MSH Informations.